المقالة الثالثة

## " هل تنجح إسرائيل في وراثة دور مصر القيادي لمنطقة الشرق الأوسط .. ؟ "

تحت هذا العنوان يقول الكاتب – رحمه الله – « هل حقاً سيطرت الغشاوة على عيوننا وقلوبنا ؟ ولم نعد نستطيع أن نري ما يحدث حولنا ؟ بل وقد أصبحنا عاجزين على أن نكتشف ما هو تحت أقدامنا؟ وإلى متى سوف نظل كذلك ؟ الأبواق من حولنا تزداد قوة، والمزايدات أضحت على أشدها، والكذب بلا حياء ولا خجل، ولم يعد أحد يؤمن لا بمبدأ التخصص ولا بمعنى الخبرة. هل هذه قيادة ؟ رغم ذلك فإن الأمل لم نفقده ولن نفقده. مرت بنا في تاريخنا الطويل أسوأ من هذه الفترة واستطاعت أمتنا بقدرتها وثباتها أن تتخطاها بصبر وهدوء. وفي تاريخ كل شعب وُجدت لحظات الضعف والهوان والانحدار، وقوة الشعب الحقيقية تبرز في تلك اللحظات، فإذا به يخلع عن نفسه ذلك الرداء من الوصولية والتفاهة، وينطلق في طريقه الذي خصته به العناية الربانية، مندفعاً في قوته صارخاً في الأمة. الشعوب القوية وحيدة في صراعها لا صديق لها. والعملاق أيضاً له عثراته ولكن ويل لمن يتعامل معه عندما يكتشف هذا العملاق ليس فقط قوته الحقيقية بل ما أوقع فيه من خيانة وخديعة.

أعداء مصر عديدون، قد يتوافقون وقد يتفقون، ولكنهم دائماً يجدون أنفسهم في خندق واحد، وكل ما يتمنون هو أن يصوبوا سهامهم ضد أم الحضارة، دولة التاريخ التي خصها الإله بوظيفة معينة. ليس هذا بجديد، فالكلاب المسعورة التي هجمت على مصر عديدة، وعلى مر التاريخ. ولكن الجدير هو أن هذه الكلاب ولأول مرة في تاريخ مصر تتعدد وتتنوع، وهي تتعدد وتتنوع كنتيجة مباشرة لتعدد وظائف مصر في عالمنا المعاصر.

الكلاب التي تسعى لأن تنهش في جسد مصر عديدة. ولكن ما هو أخطر من ذلك أن مصر الخالدة تقف عاجزة وصامتة لا تحاول أن تدافع عن نفسها. فإلى متى ؟ وإلى متى تظل نائمة ؟ سؤال نتركه جانباً ولو مؤقتاً ونعود إلى هذه الكلاب نبحث عن أسباب نباحها.

لا نريد أن ندخل في تفاصيل عملية مرهقة ولكن علينا أن نفهم منذ البداية أن مصر تملك وظائف ثلاث، يجب ألا نخلط بينها:

(أولاً) وظيفة حضارية.

(ثانياً) وظيفة اقليميـــة.

(ثالثاً) وظيفة دوليـــة .

وتحدث الكاتب عن وظائف مصر الثلاثة في خبرة التاريخ فقال : « كل من هذه الوظائف مستقلة عن الأخرى تملك دلالتها المتميزة وإن كانت هذه الوظائف قد تتداخل وتتعانق في بعض المواقف، وهي على كل تؤثر وتتأثر بالأخرى.

**(أ)الوظيفةالحضارية** هي أقدم هذه الوظائف تقودنا هذه الوظيفة إلى أقدم مراحل التاريخ. مصر هي التي قدمت لليونان حضارتها الفكرية. ومصر هي التي أقامت صرح الحضارة العظمى في وادي النيل. بينما كان الانسان في جميع بقاع الأرض يعيش في الجحور، كان في مصر يشيد أعظم حضارة شهدها الانسان: يبني الأهرامات، ويشق الطرق، ويكتشف بقدراته الذاتية(*) الاله الواحد ليتجه إليه بكل قواه، معلناً إيمانه وخضوعه، في أرضه، زُرعت أعظم الحضارات وأقدسها. لا تزال حتى اليوم، نسعى إلى اكتشاف أسرارها لنقف عاجزين إلا عن بعض القشور التي دفنتها الرمال. مصر الحضارية لم تكن عملاً فردياً ولكنها كانت جهداً جماعياً، ارتفع وتألق دون منافس.

**(ب)الوظيفةالاقليمية** لا تبدو واضحة صريحة إلا عقب سقوط بغداد أمام جحافل "هولاكو". منذ مقتل "كليوباترا" انطوت مصر على نفسها. وظيفتها الحضارية تقلصت حتى عدة قرون عقب دخول الاسلام. ورغم أنها بدأت منذ القرن الثالث الهجري تستعيد نفسها،

---

(*) يقول رسول الله محمد ﷺ " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ورب العالمين قد أخذ العهود والمواثيق على بني آدم وهم في عالم الذر أنه سبحانه وتعالى الخالق الذي يجب أن يعبدوه، ويُخضِعُوا حياتهم لمنهاجه وشريعته، قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ سورة الاعراف/172 وذلك يعني أن الإنسان ومنهم المصريون القدماء خلقوا مفطورين على معرفة ربهم وخالقهم ورازقهم، وأن التعرف على الله الواحد الفرد الصمد، يأتي نتيجة أن الله سبحانه وتعالى هو الذي فطر الإنسان على هذه المعرفة .

إلا أنها لم تبرز واضحة إلا عقب أن غزا أرض الرافدين همج المغول(*). هاجر علماء العراق إلى مصر التي احتضنتهم وشعرت بأن واجبها أن تحمي كنوز العرب. ولكن ما هو أهم من ذلك ؟ أن مصر كان عليها أن تقف إزاء التسرب إلى المنطقة. بدأت تبرز واضحة الوظيفة الاقليمية وقد اختلطت بالوظيفة الحضارية. » وذكر الكاتب كلاماً مهماً جداً فقال : الفترة الثالثة في تاريخ مصر، تبدأ حقيقة بهذا الغزو الذي تبعته وأعقبته معركة عين جالوت. منذ تلك الفترة ظهرت وتبلورت الوظيفة الاقليمية لمصر: بمعنى أنه على امتداد آلاف الكيلومترات شرقاً وغرباً، جنوباً بل وإلى حد معين شمالاً، لا توجد قوة أخرى تستطيع أن تؤدي ما يجب أن تقوم به مصر. **واجب مصر هو أن تحمي هذه المنطقة أن تمنع أي قوة أخرى خارجية من أن تتسلل إليه.**

لا توجد أي قوة في هذه الامتداد هُيّئت لها القدرات التي هُيّئت لمصر في ذلك الاتساع المكاني، الذي تعودنا أن نحدده بالأرض العربية. ولكنه ليس إلا دائرة تعقبها دوائر أخرى: فهناك الدائرة العربية، لتحيط بها الدائرة الاسلامية، ولترتبط بها دائرة البحر المتوسط الشرقي، ولتتبعها الدائرة الافريقية. هذه الدوائر المختلفة، بل والمستقلة لا يجمعها سوى أمر واحد وهو أن مصر الخالدة تتوسطها، وقد هيأت لها القدرة على أن توجه وتتحدث. توجه هذا المتسع الاقليمي، وتتحدث باسم هذه المنطقة. كلا العنصرين، يعنيان واجب مصر في أن تكتل هذا الكيان الاقليمي في ارادة واحدة، تعمل لصالح أبناء هذه المنطقة فقط. إنها وظيفة الدولة، القائد حيث تكتل القوي ضد أي محاولة للتسرب إلى المنطقة. وظيفة مصر بعبارة أخرى أيضاً الدفاع عن المنطقة ضد أي تدخل خارجي. خضعت المنطقة **لخمسة اعتداءات متتالية**. نجحت مصر في صد ثلاثة منها، وأخفقت في التعامل مع احدها ولا تزال بين النجاح والاخفاق في آخرها. **الأول** هو المغول القادمون من وسط آسيا. **والثاني** تمثل في الموجات الصليبية الهابطة من أوروبا الكاثوليكية. في كليهما استطاعت مصر أن تقف بصلابة لتطرد المعتدي. إن الغزو الأوروبي الجديد ما بين فرنسا وبريطانيا وروسيا لم يسمح باكتمال التطور. وقبل أن تعلن كلمة النجاح كانت العدة قد اتخذت للغزوة الخامسة متمثلة بالصهيونية الأوروبية. ورغم أن مصر نجحت في طرد فرنسا وبريطانيا لكن حركة هرتزل عَهِدَ إليها باستمرارية وظيفة شَلّ الدور الاقليمي لمصر التاريخية.

---

(*) إن مصر لها دور حضاري بارز طيلة عهد (عمر وعثمان وعلي) رضوان الله عليهم، وطيلة عهد الدولة الأموية، والدولة العباسية، والدولة العثمانية، خاصة في مواجهة الغزو الأوروبي الصليبي (492-660 هـ) . والغزو التتاري، إن حاكم مصر "الأشرف خليل محمد بن قلاوون" هو الذي واجه الغزوة الصليبية المغولية، وحرر آخر معقل صليبي في عكا عام 690 هـ.

**(جـ) الوظيفة الدولية** برزت في صورة واضحة مع القرن العشرين وبصفة خاصة مع الحرب العالمية الثانية. جوهر هذه الوظيفة إيقاف القوى العظمى من الاستيلاء على مصر وتوظيفها لصالحها. المنطقة حَبَتها الطبيعة بثلاث مزايا: الموقع الاستراتيجي، والثروات الطبيعية، فضلاً عن أنها موضع الأديان المقدسة(1). في جميع مراحل التاريخ لم ترتفع قوة معينة إلا واتجهت إلى مصر تسعى للاستحواذ عليها، لأنه فقط منذ تلك اللحظة تستطيع أن تزعم تلك القوة بأنها أضحت عالمية. وذلك منذ أقدم العصور، الاسكندر الأكبر أعقبته روما. لم يستطع قيصر روما أن يصف نفسه بأنه «الأمير» أو الحاكم الأعلى أو الرأس، ومن ثم يزعم بأن إرادته هي وحدها محور «السلام الروماني» إلا عقب أن استأصل القدرة على التحدي في الاسكندرية والكرنك. في الأولى بمقتل كليوباترا وفي الثانية بهدم أعظم جامعة عرفتها العصور القديمة.

هذه الوظائف الثلاث والتي رغم اختلاطها يجب التمييز بينها بوضوح، لو حاولنا فهم حقيقة السياسة الاسرائيلية، وكيف أنها لابد وأن تصطدم بمصر، في قرقعة للسلاح تضع حداً لوجود إحداهما كمركز للثقل الدولي والاقليمي في المنطقة. »

ثم بدأ الكاتب يشرح ويفصل وظيفة إسرائيل الدولية ... وما هي أبعاد المستقبل فقال « إسرائيل وهي تسعى لأن تؤدي وظيفة دولية واقليمية في المنطقة، وانطلاقاً من المنطقة لا تستطيع أن تنسى مجموعة من الحقائق:

---

(1) في الحقيقة لا توجد أديان مقدسة، لأن الله عز وجل جعل له ديناً واحداً هو الإسلام قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ آل عمران/19 وهذا الدين -الإسلام- هو الذي ارتضاه لعباده أجمعين من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . بل و لن يقبل غيره منه، قال تعالى : ﴿ ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران/85 . بل وأمر المخلوقين جميعاً يوم الحج الأكبر حيث قال الله تعالى لرسوله أن يبلغ هذا الأمر : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .... ﴾ سورة المائدة/3 .

- ولكن توجد شرائع متعددة، فلقد جاء موسى عليه السلام ومعه شريعة، ثم تبعه عيسى عليه السلام ومعه شريعة مكملة لشريعة موسى عليه السلام فقال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ المائدة/48 .
- ونستأنس بما جاء في الانجيل – برغم ما بُدل منه وما حُرّف فيه – يقول انجيل متى على فرض أن القائل هو عيسى عليه السلام [لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء -وفي طبعة أخرى لأنقض الناموس يعني الوحي- ما جئت لأنقض – لأبطل – بل لأكمل، الحق أقول لكم لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم الكل] متى 18:17/5.
- ثم جاء محمد ﷺ بشريعة مهيمنة على الشرائع السابقة لأنها الشريعة الخاتمة ألا وهي شريعة الإسلام فقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ... ﴾ المائدة/48 .

**(الحقيقة الأولى)** أنه مادامت مصر قوية فلن تسمح لدولة أخرى أن تؤدي أيا من تلك الوظائف. عقب خروج مصر من الصف العربي، عشنا قرابة عشرة أعوام والصراع بين الدول العربية على أشده في سبيل سرقة وظيفة مصر بهذا الخصوص. حاولت العراق وسرعان ما حسمت أمرها. ثم جاء دور سوريا وراحت تغالط نفسها في أكثر من موقف واحد. ولا أزال أذكر الحوار الساخن الذي دار مع الوزير السوري في مؤتمر بطرابلس، منذ عدة أعوام. كذلك السعودية تصورت أنها قادرة على القيام بهذا الدور. حتى ليبيا في لحظة معينة عاشت أحلام اليقظة وظنت أنها تستطيع أن ترث دور جمال عبد الناصر.

**(الحقيقة الثانية)** أن إسرائيل دولة دخيلة، ومهما وصفت نفسها بأنها دولة شرق أوسطية، فهي من حيث طبيعتها وتكوينها ليست كذلك. انها تصلح لأن تؤدي وظيفة الدولة الحارس ولكنها لا تستطيع أن تقوم بوظيفة الدولة القائد. هي قادرة على أن تخدم مصالح دولة عظمى، ولكنها لا تستطيع أن تخدم مصالح المنطقة.

**(الحقيقة الثالثة)** أن إسرائيل لا تملك المقومات الذاتية التي تؤهلها لأن تؤدي وظيفة دولية أو اقليمية. وهي لذلك لابد وأن تسعى إلى تغيير الإطار الاقليمي لتصير قادرة على أداء تلك الوظيفة. انها سوف تظل مصطنعة ولابد وأن تنتهي مهما طال بها الزمن إلى الفشل.

ثم قال الكاتب إذا أردنا أن نفهم ذلك « فلنعد إلى التاريخ نستمع إلى تعاليمه في عناصر واضحة من حيث التعامل:

أ ) **العنصر الأول** وهو أن أرض فلسطين لم تكن في أي مرحلة من مراحل التاريخ مصدراً للقلاقل والمشاكل. كانت على عكس من ذلك، مسرحاً للقوى الأجنبية. لم يحدث في تاريخ الانسانية أن صدرت تلك المنطقة الاضطرابات. انها فقط معبر إما للكلاب القادمة من الشمال والشرق متجهة نحو الدلتا وادي النيل بخبراتها، وإما لفراعنة مصر وهم يخرجون فاتحين للمناطق المحيطة بهم.

ب) **العنصر الثاني** أن قادة مصر العظام لم يقبلوا أو يسمحوا لأي قوة ضاربة بالتواجد على حدودهم الشرقية في المنطقة الممتدة من غزة جنوباً حتى جبال طوروس شمالاً. خير من عبّر عن ذلك كان رمسيس الثاني، وكذلك تحتمس، الذي عُرف بحملاته السنوية لتنظيف وتمشيط هذه المنطقة. كان يعلم بأن مصر لا يجوز الدفاع عنها في سيناء، وكان يؤمن بأن من وضع قدمه في منطقة الاسكندرونة فقد استطاع بسهولة أن يصل إلى أرض الاسكندرية.

**جـ)العنصر الثالث** ومفاده، أنه طالما لم توجد وحدة بين شرق سيناء وغربها فان أي دولة قوية توجد في جنوب أرض الشام، حتى لو كانت عربية. يجب أن تُستَأصل بلا رحمة.

هذه المقدمة ضرورية لفهم لماذا تعرف إسرائيل جيداً أنها لابد وأن تحارب مصر[1] وأن القاهرة لابد وأن تقف من تل أبيب كالصخرة التي تمنعها من تحقيق أهدافها. وهي لذلك تعمل جاهدة على إعادة بناء الاطار الفكري للتعامل مع مفهوم الوظيفة الاقليمية والدولية.

**كيف ذلك ؟**

في الادراك الإسرائيلي هي تستخدم موقعها ؛ لتؤدي وظيفة دولية، تقودها هذه الوظيفة الدولية لتدعيم وظيفتها الاقليمية. وهي في نفس الوقت من خلال تدعيم وظيفتها الاقليمية تزعم بأنها قادرة على أن تؤدي وظيفة دولية. وهذه هي الديالكتيكية الخفية، التي تسيطر على الفهم الإسرائيلي للتعامل في المنطقة، ومن خلال المنطقة. وظيفة دولية تقود إلى الوظيفة الاقليمية، ثم وظيفة اقليمية تصير منطلقاً للوظيفة الدولية.

ثم تحدث الكاتب عن وظيفة إسرائيل التي تخدم السياسة الأمريكية فقال : « الوظيفة الدولية في الإدراك الصهيوني، تعني تمكين القوى العظمى من تحقيق أهدافها في منطقة الشرق الأوسط. وهكذا تصير وظيفة إسرائيل الدولية وقد تحددت بهذا المعنى: كيف تمكن القوى العظمى أو إحداهما من أن تحقق أهدافها في المنطقة.

---

(1) نظرية الأمن القومي المصرية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظام الأمن للعالم الإسلامي، والذي ينبع من عقيدة الإسلام، والذي يقوم على عقيدة جهاد الدفع للعدو الصائل الذي يهدد الأمة، وجهاد الطلب، وأن أمن مصر يترتبط ارتباطاً وثيقاً ببلاد الشام وشبه جزيرة الأناضول والشمال الأفريقي، وأن الأمن القومي العربي والإسلامي لا يمكن أن يتحقق، طالما هناك قواعد عسكرية وصهيونية استعمارية على أرض فلسطين وغيرها من بلاد العالم العربي وأن حماية أمن هذه المنطقة لابد وأن يعتمد اعتماداً كبيراً على أن تكون جزر البحر الأبيض المتوسط قواعد عسكرية إسلامية متقدمة لحماية شواطئ الشام والشمال الأفريقي، وبناء عليه فقد كان العالم الإسلامي خالياً من التواجد الأجنبي طيلة 13 قرن من الزمان إذا استثنينا فترة الحروب الصليبية 492 : 690 هـ حيث احتل الصليبيون القدس وبلاد الشام، نظام الأمن الإسلامي رفض هذا التواجد الأجنبي، وأحيا المسلمون فريضة الجهاد على مدار 200 سنة حتى تمكنوا في النهاية من تحرير بلاد الشام من القواعد العسكرية الأجنبية على يد (نور الدين محمود) و (صلاح الدين الأيوبي) و (الأشرف خليل محمد بن قلاوون) . أي أن أمن الأمة لا يمكن أن يتحقق طالما أن هناك قاعدة للاحتلال الأجنبي اليهودي في بلاد الشام .

القوى العظمى بإجمال سريع تتمركز حول ثلاث بالترتيب التالي:

(أولاً) **القوة الأمريكيـــة** والتي ترتبط بها الشركات الكبرى المتعددة الجنسية.
(ثانياً) **القوة السوفييتية** ويستتر خلفها اليسار الدولي.
(ثالثاً) **القوة الأوروبيـــة** والتي لا تزال تخضع لتوجهاتها بعض دول العالم الثالث.

إسرائيل تحاول أن تخدم القوى الثلاث. ولكن عند الضرورة، وعندما يتعين عليها الاختيار، فأمامها فقط كحصان تمتطيه وتنطلق من خلاله في تدعيم تلك الوظيفة الدولية واشنطن وما يحيط بها من قوى أخرى وهي ليست قليلة.

**ما هي أهداف الولايات المتحدة من سياستها في المنطقة؟ وكيف تستطيع إسرائيل أن تخدم تلك السياسة الأمريكية في المنطقة؟**

الأهداف واضحة بل ومقننة. عقب فترة تردد معينة نستطيع أن نحدد هذه الأهداف وبالترتيب التالي:

**(أولاً)** فرض وضع التخلف على المنطقة، سواء كنتيجة لعدم الاستقرار اللازم لبناء مشروعات إنمائية حقيقية، سواء لتوجيه كل امكانيات المنطقة للاستنزاف في عمليات شراء السلاح.

**(ثانياً)** منع المنطقة من الوحدة الحقيقية، أو بعبارة أخرى تمزيق المنطقة بتحويلها إلى كيانات هشة ومتصارعة[1].

**(ثالثاً)** أن تتولى هذه المنطقة عملية المساندة الثابتة للقوات العسكرية الأمريكية سواء بتخزين السلاح أو بتحويل أرضها أي أرض إسرائيل والعلاج لصالح القوات الأمريكية التي قد تدعى إلى العمل في هذه المنطقة.

**(رابعاً)** توظيف موقعها لخدمة الاستراتيجية الأمريكية في بعدين: "الأول" أن تكون مقدمة لايقاف نزول الأسطول الروسي إلى البحر الأبيض المتوسط، و"الثاني" أن تتولى عملية ايقاف الفيضان العسكري لحلف وارسو في وسط أوروبا.

---

(1) راجع "ملف إسرائيل" روجيه جارودي .
- "أطماع إسرائيل التوسعية" لواء أركان حرب محمود شيت خطاب .
- الطريق إلى بيت المقدس د. جمال عبد الهادي مسعود ج3 .
- قراءة في فكر علماء الاستراتيجية وآخرين، نفس المؤلف ، هذا ما تحاول القوى الاستعمارية والصهيونية تحقيقه في الســودان ومصر .. لا مكن الله لهم ذلك .

هذه هي الأهداف التي سوف تتولي تحقيقها إسرائيل لصالح الولايات المتحدة ودبلوماسية واشنطن، وليكتمل الاطار لابد وأن نضيف بالنسبة لمصر على وجه التحديد هدفين آخرين:

أ ) فرض وضع التبعية لمصر إزاء الولايات المتحدة.

ب) تدعيم حالة الخوف التي تسود القيادات المصرية إزاء أي تحرك فيه شئ من الاستقلالية في مواجهة واشنطن[1].

إن واشنطن لا تخاف في المنطقة حقيقة إلا من مصر، ولا تعمل حساباً إلا للقدرة المصرية، لو تماسكت وقررت النزال مع الولايات المتحدة، وسوف نرى في موضع آخر الوثائق الصريحة، وقد عُهد إلى إسرائيل بعملية التحزيم والتخريب، والضبط وفرض الانصياع، كيف ؟ وهل نجحت في ذلك ؟ أسئلة أخرى نتركها جانباً مؤقتاً لنعود إليها بالتفصيل الكامل في موضع آخر، نقتصر مؤقتاً على تفصيل الناحية "الرابعة" والمتعلقة بتوظيف إسرائيل لخدمة الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ومن خلال تلك المنطقة. "

## " إسرائيل والاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط"

" السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، ظلت حتى وقت قريب مترددة: وهي رغم ذلك ناجحة، لا نريد أن نتتبع مساراتها منذ قُدر لها أن تنزل بوزنها كقوة عظمى في المنطقة، ولكن الذي يعنينا في هذا العرض هو كيف تبلورت هذه السياسة خلال الفترة اللاحقة لوصول كتلة ليكود إلى السلطة، التطور العام في العلاقات الأوروبية الأمريكية فرض على واشنطن أن تعيد حساباتها وذلك في أبعاد أربعة :

**(أولاً) حزب ليكود نفسه** ووصوله إلى السلطة، وازاحته حزب الماباي بما يعنيه ذلك من تصلب وتغير في الأهداف والتعامل في ومع المنطقة.

**(ثانياً)** ظهور وبوضوح نوع من الاستقلالية في الارادة الأوروبية، إن أوروبا التي تتجه إلى الوحدة تكتشف وفي صورة صريحة وقاطعة أن هناك حدوداً للتوافق المصلحي عقبها فهناك صدام، بل وصراع خفي بين المصالح الأوروبية وتلك الأمريكية، يبدأ هذا الصراع المصلحي مع (ديجول) الذي غادر الحلف الاطلنطي وهو في قمة السعادة، ثم يعود

---

(1) راجع كتاب " كيف نفكر استراتيجيا " ؛ لواء أ.ح. د. فوزي محمد طايل .

ليَبْرُز مرة آخرى عندما حاول (بومبيد و) مبادرة جادة للحوار العربي الأوروبي، ثم جاء ليبرز في صورة ساطعة إزاء عملية التقارب بين ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية، وبصدد كل ما يتعلق بتوحيد ألمانيا في أي صورة كانت، الشعب الألماني يعيش ممزقاً إزاء الانقسام الذي لم يعرفه ولو مرة واحدة طيلة تاريخه، ثم جاء ليبرز أيضاً هذا الصدام في المصالح في صدام عنيف، ولكنه خفـــي بين الشـــركات الأمريكية، والقدرة الصناعية الأوروبية، وجاء ليظهر في صورة أقل وضوحاً بصدد سياسة واشنطن الشرق أوسطية، وبصفة خاصة مع مصر.

**(ثالثاً)** التعامل مع الاتحاد السوفييتي، فرغم أن الشيوعية الروسية تُقْلق القيادات الأوروبية المحافظة إلا أن ذلك ليس بذلك القدر، الذي يجعل من النظرة إليها على أنها عدو لا يمكن التفاهم معه، فروسيا قبل كل شئ آخر دولة أوروبية، وتقاليدها واحدة مع الفكر الأوروبي، ودول أوروبا الغربية لديها أحزاب شيوعية ذات قوة معينة، تمثل شريحة لها وزنها في الرأي العام، كذلك هناك أوروبا اليسارية التي آن الأوان لأن تنفرج في علاقاتها مع أوروبا الغربية وأنتذكر مرة آخرى أن مثل هذا الانقسام جديد على الحضارة الأوروبية، وقد آن الآوان لوضع حد له، ورغم كل شئ فأيهما أقرب إلى الآخر، أوروبا الشرقية التي لا يفصلها عن أوروبا الغربية سوى حائط برلين، أم الولايات المتحدة. وهناك محيط كامل يقف بين الجانبين، ثم يأتي فيكمل هذا الاطار من التوافق والتليين للعلاقات السوفييتية الأوروبية، مجئ (جورباتشوف)[1] الذي عرف كيف يُفجر هذه القنبلة.

**(رابعاً)** ويكمل ذلك العلاقات مع دولة جنوب أفريقيا، هذه الناحية لا تعنينا مؤقتاً ؛ ولكنها تنسحب بدورها على المنطقة ولو بطريق خفي، نتيجة للتوافق العجيب والتعاون القوي العلني بين إسرائيل ودولة جنوب أفريقيا، وبصفة خاصة عقب مجئ كتلة ليكود إلى السلطة.

هذا الاطار العام من الخلاف، برز في صورة صريحة وقاطعة عندما أُثيرت في فترة حكم (ريجان) كمشكلة مواجهة احتمالات غزو أوروبا الغربية من جانب حلف وارسو.

## حلف وارسو الواقع الأوروبي الغربي:

قبل أن نطرح الموضوع، وبصفة خاصة، كيف استغلت إسرائيل هذا الواقع في تخطيط سياستها وتعاملها مع الولايات المتحدة الأمريكية، علينا أن نتذكر أن هذا الموضوع أثير قبل مجئ (جورباتشوف) وفي فترة تميزت بعدة متغيرات:

---

(1) راجع صـ 249 من كتاب "كيف نفكر استراتيجيا" لواء أ.ح. فوزي محمد طايل ليثبت أن هناك توافق بين المعسكر الروسي والإمبريالي، وأوربا، والجميع يعتبرون أن عدوهم المشترك الآن هو الإسلام (خاصة بعد انهيار الشيوعية) .وصدق الله القائل : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ... ﴾ المائدة/82

**(المتغير الأول)** وصول ريجان إلى السلطة، وهو يمثل الاتجاه المحافظ الجديد الذي يُنظر إليه في أوروبا بشئ من عدم التقدير المبالغ فيه، فهو ليس الاتجاه المحافظ التقليدي بقوته وقدرته رغم الكراهية المترسبة في الرأي العام الأوروبي نحوه، وهو ليس الاتجاه الاشتراكي الذي يجد قبولاً عاماً واحتراماً مبالغاً فيه، أنه وليد غير شرعي لأمة لا تقاليد لها، وضعه في عالم التقاليد السياسية لا يمكن أن يكون إلا بشئ من التحفظ.

**(المتغير الثاني)** وضوح التفوق الساحق لحلف، وارسو إزاء حلف الاطلنطي، لقد اكتشفت أوروبا فجأة أن ما لديها من سلاح بما في ذلك السلاح الأمريكي التقليدي، لن يسمح بإيقاف حركة غزو خاطفة لأوروبا الغربية من الجيوش اليسارية، تعداد جيوش حلف موسكو يزيد على ضعف الجيوش الغربية المتمركزة في دول الأطلنطي، عدد الدبابات التي يملكها حلف وارسو كذلك أكثر من ضعف ما يملك الحلف الأطلنطي، مع ادخال أيضاً فرنسا، الجندي أكثر تدريباً وكفاءة، هناك تطور خطير كمي وكيفي لصالح شرق أوروبا، فهل سوف يستغل ذلك الاختلال في التوازن ؟ متى وكيف ؟

**(المتغير الثالث)** ما أثير في تلك الفترة بغباء وقصر نظر من القيادات الأمريكية، وبصفة خاصة من (ريجان) وأعوانه، عن إمكانية استخدام القنبلة النووية في أوروبا، وجعل محور الصراع النووي القادم خارج أرض الدولتين العظميين ثارت ثائرة القيادات الأوروبية فتذكرت عندئذ ما حدث عام 1973 من استنفار نووي في داخل أوروبا نفسها ودون معرفة القيادات الأوروبية بخلفيات ذلك الاستنفار الذي وصل إلى علمها فقط عن طريق الصحافة اليومية.

الخلافات والمناقشات والتراجعات بذلك الخصوص عديدة، ولا نستطيع أن نطيل في ذلك حديثاً بعيداً ولو نسبياً عن موضوعنا المباشر، ما يعنينا بهذا الخصوص، أنه في خلال ذلك النقاش برز ولأول مرة الحديث عن القنبلة النووية التكتيكية، ورغم أننا سوف نعود لتفصيل ما تعنيه هذه القنبلة، وموضعها في الترسانة الإسرائيلية، إلا أنه يكفي أن نذكر في هذا المقام كيف أن هذه القنبلة النووية تتميز بأنها محدودة الفاعلية، أنها قادرة على أن تنال قطعة محدودة من حيث المساحة، ومن ثم فاشعاعاتها تكون بدورها في نطاق محدود، التدمير يتجه إلى مساحة تتراوح ما بين ثلاثين كيلومتراً مربعاً وخمسين كيلومتراً، الاشعاع يتسع مع أقصى احتمالاته إلى خمسمائة كيلومتر مربع أي مساحة لا تتجاوز خمسة وعشرين كيلومتراً طولاً ومثلها عرضاً، ويساعد على تقييد الآثار لتلك القنبلة القاؤها من ارتفاع ساحق، لا تعنينا مؤقتاً التفاصيل الفنية بقدر ما يعنينا ما ارتبط بهذه القنبلة النووية التكتيكية من حيث علاقتها بإسرائيل » .

**مصادر المقالة الثالثة**


- FINKIELKRAUT, la reparation. d' lsrael, 1983.
- YINIEWSKI, Etre lsrael, 1979.
- SELIKTAR, New Zionism and the foreign policy system of lsrael, 1983.